

أفضلية النبي محمد ﷺ على الخلق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وخيرته من خلقه نبينا محمد سيد الأولين والآخرين، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين.

أما بعد:

فلقد اخترت الكتابة في موضوع (أفضلية النبي محمد ﷺ على الخلق) لما يأتي:

- ١- أن التعرف على الفضائل التي فضل الله بها نبيه محمد ﷺ على غيره، وما خصه الله به في الدنيا والآخرة مما يزداد به العبد إيماناً ومحبة للرسول ﷺ.
- ٢- شكر الله تعالى على ما منّ به علينا من تفضيل نبينا محمد ﷺ وتشريفه على سائر الخلق.

أما الخطة التي وضعتها وسرت عليها فإنها تتكون من هذه المقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة وفهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: في بيان فضل الأنبياء على غيرهم، وتفاضلهم عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الأول: الأدلة على أفضلية النبي محمد ﷺ من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأدلة على أفضليته ﷺ من السنة النبوية.

المبحث الثالث: كلام العلماء عن أفضليته ﷺ.

المبحث الرابع: من علامات تفضيله ﷺ.

الخاتمة.

وقد سلكت في كتابة هذا البحث منهج الاستدلال والاستنباط متبعاً قواعد البحث

العلمي المعروفة.

وقد اكتفيت عند الاستدلال على هذه المسألة بإيراد أبرز الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية، ولم أستوعب جميع النصوص الشرعية طلباً للاختصار.

وعرضت نماذج متعددة لأقوال علماء هذه الأمة الذين نصّوا فيها على أفضلية النبي ﷺ. وإذا كان الحديث النبوي مخرجاً في الصحيحين أو أحدهما اقتضت على ذلك، وإلا خرجته من كتب الحديث الأخرى.

ولم أترجم للأعلام خشية الإطالة، ولأن أغلبهم من المشهورين.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تمهيد في بيان فضل الأنبياء على غيرهم، وتفاضلهم عليهم الصلاة والسلام.

أولاً: بيان فضل الأنبياء على غيرهم:

لا ريب أن الله سبحانه وتعالى منفرد بالخلق، وأن المخلوقات التي خلقها لم يسو بينها، بل اختار منها ما شاء، وفضله على غيره بحكمته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

ومن اختاره الله تعالى واصطفاه الأنبياء والمرسلين^(١) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

وهذا الاختيار والاصطفاء منه إلهية امتن الله تعالى بها عليهم، فليست النبوة مكتسبة كما تزعم الفلاسفة.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: (النبوة نعمة يمنُّ بها الله تعالى على من يشاء ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كشفه، ولا يستحقها باستعداد ولايته)^(٢).

وقد فضل الله تعالى أنبياءه ورسله على غيرهم.

فهم صفوة خلق الله تعالى، وأرجحهم عقلاً، وأكملهم خلقاً وخلقاً، متصفون بالصفات الحميدة، أعدَّهم الله تعالى إعداداً خاصاً لتحمل النبوة والرسالة.

(١) اتفق الجمهور على وجود الفرق بين النبي والرسول، لكنهم اختلفوا في تعيين المراد بكل واحد منهما، وأقرب الأقوال في ذلك - في نظري - ما اعتمدته شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (في كتاب النبوات ص ٢٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧) وخلاصته: أن الرسول من أوحى إليه وأرسل إلى قوم مخالفين يدعوهم إلى شريعة جديدة، وقد يتبع شرع من قبله. وأن النبي من أوحى إليه وبعث في قوم مؤمنين يدعوهم إلى شرع من قبله. وقد ذكر العلماء أن بين النبي والرسول عمومًا وخصوصًا مطلقاً، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً (لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٤٩).

(٢) فتح الباري ٦/ ٣٦١.

وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء على غيرهم من البشر^(١).

ومما احتج به العلماء على تفضيل الأنبياء قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(٣) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ^(٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَطُوشًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

قالوا: إن اسم (العالمين) عام لجميع أصناف المخلوقات، يتناول الإنس والملائكة والجن، ويجب إجراء الاسم على عمومهم إلا إذا قام دليل يوجب الخصوص^(٥).

ومما احتجوا به أيضاً أن الله تعالى قد رتب عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، فأول هذه المراتب وأعلاها الأنبياء^(٦).

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: (هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين)^(٧).

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٢١/١١، الحبانك في أخبار الملائك للسيوطي ص ٢٠٣، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٩٨/٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٦/٤، ٣٦٧، وانظر كتاب القول الحق في أن محمداً ﷺ أفضل الخلق لابن الجزار ص ١٠٧ (ضمن كتاب جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ للنبهاني)، وانظر كتاب الحبانك للسيوطي ص ٢٠٩، ٢١٠.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢١/١١.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٦١٠/٥ كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما، وقال

فالأنبيا والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم مُقدّمون على غيرهم في الجنة. وأيضاً فإن الناس في الموقف يوم القيامة يستشفعون إلى ربهم بخواصه من خلقه، وهم الأنبياء^(١)، حيث يبدؤون بآدم عليه الصلاة والسلام، ثم أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام^(٢).

ثانياً: تفاضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

لقد اقتضت حكمة الله تعالى البالغة وقدرته الشاملة المفاضلة بين أنبيائه عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]. وقد أجمعت الأمة على أنّ الرسل أفضل من بقية الأنبياء^(٣)، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

ثم إن الرسل يتفاضلون أيضاً، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأفضل الرسل أولو العزم منهم^(٤)، وهم أهل الثبات والجد والصبر، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٧].

الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه الترمذي أيضاً من طرق أخرى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٦١١/٥، وابن ماجه في سننه ٣٦/١ (المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه)، والإمام أحمد في مسنده ٨٠/١ بلفظ مقارب، وقد صحح الألباني هذا الحديث في صحيح الجامع الصغير ٧٥/٦، وانظر مجمع الزوائد للهيتمي ٥٣/٩.

(١) القول الحق لابن الجزار ص ١٠٨.

(٢) سيأتي إيراد هذا الحديث الدال على ذلك قريباً.

(٣) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٤٣/١، تفسير ابن كثير ٤٧/٣، لوامع الأنوار البهية ٤٩/١.

(٤) انظر: زاد المعاد ٤٣/١، تفسير ابن كثير ٤٧/٣، لوامع الأنوار ٢٩٩/٢.

وهم على المشهور خمسة ^(١): محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم صلوات الله تعالى وسلامه.

وهم المذكورون نصاً في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وأيضاً فهم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهي إلى نبينا محمد ﷺ ^(٢).

وأخيراً فإن أفضل أولي العزم وغيرهم بلا خلاف هو الرسول محمد ﷺ، وسأورد الأدلة على ذلك بإذن الله تعالى في المباحث القادمة.

ومما ينبغي هنا أن يُعلم أن القول بتفضيل النبي محمد ﷺ على غيره لا ينافي الأحاديث الواردة بالنهي عن التفضيل بين الأنبياء، كقوله ﷺ: (لا تفضلوا بين أنبياء الله) ^(٣) وفي رواية: (لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى) ^(٤).

فقد حمل العلماء النهي في هذه الأحاديث على التفضيل الذي يؤدي إلى انتقاص المفضل،

(١) انظر: تفسير البغوي (المسمى 'معالم التنزيل') ١٧٦/٤، زاد المعاد ٤٣/١، ٤٤، تفسير ابن كثير ٤٧/٣، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٤٢٤/٢، لوامع الأنوار البهية ٢٩٩/٢.

(٢) معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكيم ٨١/٢، وانظر صحيح البخاري ٢٢٥/٥، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، باب ذرية من حملنا مع نوح، وصحيح مسلم ١٨٤/١ كتاب الإيمان رقم (٣٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٣٢/٤ كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين) إلى قوله (وهو مليم)، ومسلم في صحيحه ١٨٤٣/٤، ١٨٤٤، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم الحديث ٢٣٧٣ (١٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح البخاري ٨٨/٣ كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، وصحيح مسلم ١٨٤٤/٤، رقم الحديث ٢٣٧٣ (١٦٠).

وكان علي وجه الحمية والعصبية، أو كان هذا التفضيل يؤدي إلى خصومة وفتنة^(١).

يدل علي هذا سبب الحديث، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (استب رجلان: رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، قال المسلم: والذي اصطفى محمداً علي العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى علي العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك، فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فدعا النبي ﷺ المسلم، فسأله عن ذلك، فأخبره، فقال النبي ﷺ: (لا تخيروني علي موسى...) ^(٢) الحديث. وفي الرواية الأخرى: (لا تفضلوا بين أنبياء الله) ^(٣).

فليس التفضيل بالرأي ومجرد العصبية، ولا بما يلزم منه تنقص المفضل، والخط من قدره، كل هذا وما في معناه محرم قطعاً، وهو الذي غضب منه رسول الله ﷺ، ولو لم يقصده ذلك الصحابي رضي الله عنه ^(٤).

وقد أجاب بعضهم بجواب آخر وهو أن النهي في هذه الأحاديث نهي عن التفضيل الخاص، أي لا يُفضل بعض الرسل علي بعض بعينه، بخلاف التفضيل العام، فلا يمنع منه ^(٥).

والتفضيل التفصيلي لا يصار إليه إلا في مقام الضرورة، وقيام الحاجة إليه، كمن يفضل نبياً علي نبينا محمد ﷺ، فإنه يحتاج في الرد عليه إلى التصريح بأن محمداً ﷺ مُفضل عليه وعلي سائر الأنبياء ^(٦) عليهم الصلاة والسلام، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ١/ ٢٢٧، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧، شرح الطحاوية ١/ ١٥٩، فتح الباري ٦/ ٤٤٦، لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٩٨، الرسل والرسالات للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ٢٢٣.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) معارج القبول ٢/ ٤٢٦.

(٥) شرح الطحاوية لابن أبي العز ١/ ١٦٠.

(٦) رسالة في أفضلية محمد عليه الصلاة والسلام لابن كمال باشا ورقة ٥٧ (مخطوطة)، وهناك أجوبة أخرى
←

المبحث الأول

الأدلة على أفضلية النبي محمد ﷺ من القرآن الكريم

لا ريب أن نبينا محمداً ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق، والدليل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

وسيجتص هذا المبحث ببيان الأدلة على أفضليته ﷺ من القرآن الكريم. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على تفضيله ﷺ على غيره من المخلوقات، منها ما هو صريح في الدلالة، ومنها ما يحتاج إلى استنباط. وفيما يأتي عرض لجملة من هذه الآيات التي تدل على هذه المسألة مع بيان وجه الاستدلال بها:

١- قول الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

فقد أخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ إن هم أدركوا حياته، وأن يكونوا من أتباعه وأنصاره، وهذا تكريم كبير من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ.

وقد أجاب الأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام بقولهم (أقررنا) وشهدوا على أنفسهم بذلك، وشهد الله عليهم، وكفى بالله شهيداً^(١).

روى الإمام الطبري رحمه الله بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (لم يبعث الله عز وجل نبياً - آدم فما بعده - إلا أخذ عليه العهد في محمد: لئن بُعث وهو حي ليؤمنن به ولننصرته، ويأمره فيأخذ العهد على قومه) وقرأ الآية^(٢).

للعلماء. انظر مثلاً: كتاب الشفا للقاضي عياض ١/٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، فتح الباري ٦/٤٤٦.

(١) القول الحق لابن الجزار ص ١٠٩.

(٢) تفسير الطبري (المسمى جامع البيان عن تأويل أي القرآن) ٣/٣٣٢.

وروى الطبري أيضاً عن طاووس وقتادة أنها قالا: (أخذ الله ميثاق النبي أن يصدق بعضهم بعضاً)^(١).

وهذا القول لا يعارض القول الأول.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وهذا لا يضاد ما قاله ابن عباس رضي الله عنه، ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه^(٢).

ويدل على ما ذكرت من معنى الآية ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ، قال عبد الله: فقلت: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، قال: فسُرِّي عن النبي ﷺ، ثم قال: (والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين)^(٣).

وما رواه الإمام أحمد أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفيه قوله ﷺ: (والذي نفسي بيده لو أن موسى^(٤) كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)^(٥).

وهذا الحكم المذكور غير مخصوص بموسى عليه الصلاة والسلام، بل يعم سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للاشتراك في العلة^(٦).

(١) انظر: تفسير الطبري ٣/ ٣٣٣.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٩.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٤٧٠، ٤/ ٢٦٥.

(٤) قال ابن الجزار: إنها مثل بموسى دون غيره لأن قومه وهم اليهود أشد كفراً ونفاقاً وعناداً، فإذا كان نبي تلك الأمة الشديدة العداوة لنا لو أدركه اتبعه كان غيره بذلك أولى، فإنه نبي إليه وإلى غيره (القول الحق ص ١١١).

(٥) مسند أحمد ٣/ ٣٨٧.

(٦) رسالة في أفضلية محمد عليه الصلاة والسلام لابن كمال باشا ورقة ٥٣ ب (مخطوطة).

فيجب على سائر الأنبياء اتباعه عليه الصلاة والسلام لو كانوا أحياء في زمانه ﷺ، أو بعد بعثته، كما وجب على عيسى^(١) عليه الصلاة والسلام حينما ينزل إلى الأرض في آخر الزمان.

٢- قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في معنى هذه الآية: (أي افعل هذا الذي أمرتك به لتقيمك يوم القيامة مقاماً محموداً يحمداً فيه الخلائق كلهم، وخالقهم تبارك وتعالى)^(٢).

فهذا المقام الكريم للنبي محمد ﷺ الذي يغبطه فيه الأولون والآخرين من أبرز الأدلة على تفضيله ﷺ على الخلائق أجمعين.

وأما المراد بهذا المقام المحمود فقد وردت فيه أحاديث شريفة عن النبي محمد ﷺ، سيأتي ذكرها بإذن الله تعالى في المبحث التالي.

٣- قوله الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

ومعنى هذه الآية: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق^(٣).

روى ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره عن قتادة رحمه الله أنه قال: (رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله)^(٤).

فالله تعالى رفع ذكر نبيه ﷺ، فبشر به في الكتب السابقة، وأخذ عهداً على الأنبياء عليهم

(١) المرجع السابق ورقة ٥٣ أ.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٦/٣.

(٣) تفسير ابن سعدي المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٨٥٧.

(٤) تفسير الطبري ٢٣٥/٣٠.

الصلاة والسلام أن يؤمنوا به وينصروه إن ظهر في زمانهم، وقرن اسمه باسمه تعالى في الأذان، والإقامة، والتشهد في الصلاة، وفي الخطب، وفي الشهادة التي لا يكون الشخص مسلماً إلا إذا نطق بها^(١).

وغير ذلك من الأمور التي أعلا الله تعالى بها ذكر رسوله محمد ﷺ.

٤ - قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقد قال النبي ﷺ في الصحيح^(٢): (إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا)^(٣).

فأكرم الخلق عند الله تعالى هو نبينا محمد ﷺ حيث إنه أتقاهم.

٥ - قول الله تعالى: ﴿وَلَيْكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

واستعظام العظماء للشيء يدل على إيفاله في العظمة، فما الظن باستعظام أعظم العظماء؟^(٤).

فهذه شهادة كريمة من الله جل جلاله لنبيه ومصطفاه ﷺ بعظمة خلقه، مع تأكيد هذا الثناء بعدة مؤكدات^(٥).

وقد جمع الله تعالى فيه محاسن الأخلاق^(٦).

وعرف ﷺ بأخلاقه الفاضلة الحميدة، التي يطول شرحها^(٧)، فكان عليه الصلاة

(١) دلالة القرآن المبين للغماري ص ١١٧، وانظر: الشفا للقاضي عياض ١٩/١ - ٢٣.

(٢) القول الحق لابن الجزار ص ١١٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/١ كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: (أنا أعلمكم بالله) وهذا نص الحديث بتمامه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم من الأعمال ما يطيقون، قالوا: إنا لسنا كهيتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يُعرف الغضب في وجهه ثم يقول: (إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا).

(٤) بداية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ وشرف وكرم للعز بن عبد السلام ص ٥٨.

(٥) انظر: دلالة القرآن المبين ص ١٠٨.

(٦) انظر: القول الحق لابن الجزار ص ١١٥.

(٧) يمكن الرجوع في معرفة ذلك إلى كتاب الشرائع المحمدية للترمذي، وكتاب أخلاق النبي ﷺ وآدابه
←

والسلام أحسن الناس أخلاقاً، وأكملهم آداباً.

وقد جاء في صحيح مسلم أن سعد بن هشام بن عامر رضي الله عنه سأل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: أليست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)^(١).

٦ - قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (يعني خير الناس للناس، والمعنى: أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس) إلى أن قال: (كما في الآية الأخرى) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي خياراً^(٢).

ولا ريب أن تفضيل الأمة تفضيل لرسولها ﷺ الذين هم أُمته. فشرّف التابع شرف للمتبوع من باب أولى، فكما أن أمة الرسول ﷺ المحمدية خير الأمم فهو صلى الله عليه وسلم خير الناس^(٣). إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الدالة - صراحة أو ضمناً - على تفضيله ﷺ على غيره من المخلوقات.

للحافظ أبي محمد الأصبهاني، وكتاب الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي، وغيرها.
(١) قطعة من الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٥١٣/١ كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل.
(٢) تفسير ابن كثير ٣٩٢/١.
(٣) من كتاب القول الحق ص ١١٠ بتصرف.

المبحث الثاني الأدلة على أفضليته ﷺ من السنة النبوية

لقد دلت السنة النبوية على أفضلية النبي ﷺ على غيره من المخلوقات، فهناك عدة أحاديث رواها أصحاب الصحاح والسنن والمساند، وغيرهم تدل على هذا التفصيل الإلهي لهذا النبي الكريم ﷺ.

وقد وردت هذه الأحاديث بعدة صيغ، وبسياقات متنوعة، ومن هذه الأحاديث ما يأتي:

١- أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)^(١).

وأخرج الترمذي في سننه عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ: (أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً)^(٢).

فالله تعالى اختار نبيه محمداً ﷺ من بين الخلق، واصطفاه منهم ليكون خيرته من خلقه صلوات الله وسلامه عليه.

٢- أخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أنا سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مُشفّع)^(٣).

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٧٨٢ كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٨٤ كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ رقم (٣١٠٨) وقال الترمذي حديث حسن.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٥٤ كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء (٤٦٧٣).

وقد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢ (٢٢٧٨) بلفظ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر...).

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (..أي رب، خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر...) (١).

قال ابن الأثير رحمه الله موضحاً المراد بهذا الحديث: (قاله إخباراً عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسؤدد، وتحدثاً بنعمة الله تعالى عنده... ولهذا أتبعه بقوله: (ولا فخر) أي أن هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله، لم أنلها من قبل نفسي، ولا بلغتها بقوتي، فليس لي أن أفتخر بها) (٢).

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يُجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد...) (٣) وذكر حديث الشفاعة الطويل.

قال النووي رحمه الله مبيناً سبب تخصيص السيادة في هذا الحديث بيوم القيامة مع أنّ النبي ﷺ سيد الناس في الدنيا والآخرة: (إنما خُصّ يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيها، وتسليم جميعهم له، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه ﷺ) (٤).

٣- أخرج الترمذي والدارمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (..أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) (٥).

وأخرج أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (..أنا أكرم الأولين

(١) مسند أحمد ٥/١، وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجلهم ثقات (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣٧٥/١٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤١٧/٢.

(٣) صحيح البخاري ٥/٢٢٥ كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب ذرية من حملنا مع نوح، وصحيح مسلم ١/١٨٤ كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٧).

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ٣/٦٦، وانظر: الشفا للقاضي عياض ١/٢٠٨، ٢٠٩.

(٥) سنن الترمذي ٥/٥٨٥ كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ (٣٦١٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وسنن الدارمي ١/٢٦ المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل.

والآخرين على الله ولا فخر^(١).

وفي هذين الحديثين دلالة واضحة على أنه ﷺ أعظم الناس منزلة عند ربه تبارك وتعالى.

٤- أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتُ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَبِي خُتِمَ النَّبِيُّونَ)^(٢).

فبينما محمد ﷺ فضَّله الله تعالى على سائر الأنبياء بهذه الخصال الشريفة.

٥- أخرج الدارمي في سننه، والبيهقي في دلائل النبوة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النَّبِيَّ ﷺ قال: (أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مُشَفَّعٍ ولا فخر)^(٣).

وهذا يدل على تخصيصه وتفضيله ﷺ^(٤).

٦- أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بَثَلَاثَ: جُعِلَتْ صَفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ)^(٥).

وأخرج هذا الحديث البيهقي في الدلائل بلفظ (فُضِّلْتُ عَلَى النَّاسِ بَثَلَاثَ...) ^(٦).

٧- أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعِرْقُ نَصْفَ الْأُذُنِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَشْفَعُ لِيَقْضِيَ بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحُلُقَةِ الْبَابِ،

(١) سنن الترمذي ٥/ ٥٨٨ (٣٦١٦)، وسنن الدارمي ١/ ٢٦ المقدمة.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٣٧١ كتاب المساجد (٥٢٣).

(٣) سنن الدارمي ١/ ٢٧ المقدمة، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر البيهقي ٥/ ٤٨٠.

(٤) بداية السؤل ص ٣٦.

(٥) صحيح مسلم ١/ ٣٧١ كتاب المساجد (٥٢٢).

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٤٧٥.

فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمدُه أهل الجمع كلهم^(١).

وهذه الشفاعة خاصة بنبينا محمد ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وتُسمى 'الشفاعة العظمى'، فهي شفاعة عامة لجميع أهل الموقف على اختلاف أديانهم.

وهي المقام المحمود - على رأي أكثر العلماء^(٢) - الذي يحمدُه عليه جميع الخلائق، والذي وعد الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] - كما تقدم في المبحث السابق - وفيه دلالة واضحة على تكريمه وتشريفه ﷺ. وهناك أحاديث أخرى عن المقام المحمود.

منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمِّي عَلَى تَلٍّ، فَيَكْسُونِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِلَّةً خَضِرَاءَ، ثُمَّ يُوْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ)^(٣).

إلى غير ذلك من الأحاديث^(٤) التي لا تعارض بينها؛ لأنه يمكن إرجاعها إلى الشفاعة العظمى وما يتعلق بها، ولذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عن تعدد الأقوال في المقام المحمود: (ويمكن رد هذه الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة..)^(٥).

(١) صحيح البخاري ١٣٠ / ٢ كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً.

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ٧٢٤ / ٢ فما بعدها، تفسير ابن جرير الطبري ١٦ / ١٤٣ فما بعدها، تفسير القرطبي ١٠ / ٣٠٩ فما بعدها، فتح الباري ١١ / ٤٢٦ فما بعدها.

(٣) مسند أحمد ٣ / ٤٥٦، وقد أخرجه الحاكم في المستدرک ٢ / ٣٦٣ وصححه وأقره الذهبي، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠ / ٣٧٧).

(٤) انظر: هذه الأحاديث في كتاب التوحيد لابن خزيمة ٧٢٤ / ٢ فما بعدها، كتاب الشريعة للأجري ٤ / ١٦٠٤ فما بعدها، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ٦ / ١١٦٢ فما بعدها، وغيرها.

(٥) فتح الباري ١١ / ٤٢٧.

وللإمام ابن القيم توجيه آخر حيث يقول رحمه الله: (ومقاماته المحمودة في الموقف متعددة، كما دلت عليه الأحاديث، فكان في التنكير من الإطلاق والإشاعة ما ليس في التعريف)^(١) ويعني كلمة (مقاماً) في الآية.

٨- أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة^(٢))، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)^(٣).

وأخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)^(٤).

وجاء في سنن الترمذي ومسنند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: قيل: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال: (أعلى درجة في الجنة)^(٥).

فإعطاؤه ﷺ في الجنة الوسيلة، وهي الدرجة العالية في الجنة تفضيل له ﷺ على غيره، حيث لا يناها إلا فرد واحد فقط من جميع الخلق، وهو نبينا محمد ﷺ^(٦).

٩- وأخيراً فقد روى الدارمي والبيهقي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (إن الله فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء...)^(٧).

(١) بدائع الفوائد ٤/ ١٠٥.

(٢) قال ابن حجر: الفضيلة هي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى، أو تفسيراً للوسيلة (فتح الباري ٢/ ٩٥).

(٣) صحيح البخاري ١/ ١٥٢ كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٢٨٨ كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٥٨٦ كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ (٣٦١٢)، ومسنند أحمد ٢/ ٢٦٥.

(٦) عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل لخليل ملا خاطر ص ٩٢.

(٧) سنن الدارمي ١/ ٢٥ المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٨٦.

وروى البيهقي والحاكم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال: (..إن أكرم خليفة الله على الله أبو القاسم عليه السلام)^(١).

(١) دلائل النبوة ٥/ ٤٨٥، والمستدرک للحاکم ٤/ ٥٦٨ وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

المبحث الثالث

كلام العلماء عن أفضليته ﷺ

بعد أن عرضت في المبحثين السابقين الأدلة على أفضلية النبي محمد ﷺ من القرآن الكريم ومن السنة النبوية سأورد في هذا المبحث بإذن الله تعالى مقتطفات من أقوال الأئمة والعلماء والباحثين في هذه المسألة، وذلك كما يأتي:

قال الإمام الشافعي رحمه الله (ت ٢٣١هـ): (محمد رسول الله، خير خلق رب العالمين)^(١).

وقال أيضاً عن النبي ﷺ: (..فكان خيرته المصطفى لوحيه، المنتخب لرسالته، المفضل على جميع خلقه)^(٢).

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله (ت ٣٢١هـ): (..وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي، ورسوله المرتضى، وإنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين)^(٣).

وقال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رحمه الله (ت ٣٦٠هـ): (الله جلّ ذكره شرف نبيه محمداً ﷺ بأعلى الشرف، ونعته بأحسن النعت، ووصفه بأجل الصفة، وأقامه في أعلى الرتب)^(٤).

وقال أيضاً: (الله عز وجل أعطى نبينا ﷺ من الشرف العظيم والحظ الجزيل ما لم يعطه نبياً قبله)^(٥).

(١) روى هذا القول عنه بإسناده البيهقي في كتاب مناقب الشافعي ١/ ٤٢٢، باب ما يؤثر عنه في تفضيل النبي ﷺ على جميع الخلق وإثبات الشفاعة له.

(٢) الرسالة ص ١٢.

(٣) متن العقيدة الطحاوية ص ١٢.

(٤) كتاب الشريعة ٣/ ١٣٨٦.

(٥) المرجع السابق ٤/ ١٦٠٤.

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله (ت ٤٥٨هـ) في خطبة كتابه (دلائل النبوة): (ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ونبيه وصفيّه، ونجيّه ووليّه ورضيّه، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه)^(١).

وقال القاضي عياض رحمه الله (ت ٥٤٤هـ): دل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة على كون النبي ﷺ أكرم البشر وأفضل الأنبياء^(٢).

ولابن الجوزي رحمه الله (ت ٥٩٧هـ) كتاب (الوفا بأحوال المصطفى) عقد فيه ثلاثة عشر باباً بعنوان (أبواب فضله على الأنبياء)^(٣).

وللعز بن عبد السلام رحمه الله (ت ٦٦٠هـ) رسالة بعنوان: بداية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ وشرف وكرم^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٠هـ): (محمد ﷺ سيد ولد آدم، وأفضل الخلق، وأكرمهم على الله)^(٥).

وقال أيضاً: (سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين هو رسول الله ﷺ باتفاق المسلمين)^(٦).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١هـ) في خطبة كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد): (وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه.. أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلق أجمعين)^(٧).

(١) دلائل النبوة ومعرفة أصول صاحب الشريعة ٦/١.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٢٢٥، ٢٢٦ بتصرف يسير.

(٣) انظر: الوفا ١/٣٥٣ فما بعدها.

(٤) هذه الرسالة بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، ولها اسم آخر بعنوان: منية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٩٦.

(٦) منهاج السنة ٧/٣٨٧.

(٧) ١/٣٤.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤هـ) عن النبي ﷺ: (هو سيد ولد آدم، وفخرهم في الدنيا والآخرة)^(١).

وقال الشيخ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): نبينا محمد ﷺ أفضل الخلق بلا خلاف^(٢).

وللشيخ أحمد بن سليمان بن كمال باشا رحمه الله (ت ٩٤٠هـ) رسالة في أفضلية محمد عليه الصلاة والسلام^(٣). ومما جاء فيها: (لا بد من الاعتقاد بتفضيل نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.. لما مر من انعقاد إجماع المسلمين على ذلك)^(٤).

وللشيخ نور الدين علي بن سليم الشهير بابن الجزار رحمه الله (وهو من أهل القرن العاشر الهجري) مؤلف بعنوان: (القول الحق في أن محمداً ﷺ أفضل الخلق)^(٥).

وقال الشيخ محمد بن أحمد السفاريني رحمه الله (ت ١١٨٨هـ) في منظومته:
وأفضل العالم من غير امترا نبينا المبعوث في أم القرى
ثم قال شارحاً ذلك: (وأفضل العالم العلوي والسفلي، من ملك وبشر وجن، في الدنيا والآخرة، في سائر خلال الخير، وخصال الكمال، ونعوت المكارم والجمال (من غير امترا) أي من غير شك ولا ريب..^(٦)).

وقال في موضع آخر: (النبي المصطفى أفضل الخلق جميعاً بلا خفاء ﷺ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين)^(٧).

(١) البداية والنهاية ٢/٢٥٢.

(٢) الحبائك في أخبار الملائك ص ٣٠٣.

(٣) وقفت على نسخة مخطوطة مصورة منها في قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم (٦٦٦٨) وعدد الأوراق سبع ورقات (ضمن مجموع رسائل).

(٤) ورقة ٥٦ ب.

(٥) هذا المؤلف مطبوع ضمن كتاب (جواهر البحار في فضائل النبي المختار ليوسف النبهاني) ٣/١٠٣-١١٩.

(٦) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية ٢/٢٩٤، ٢٩٥.

(٧) المرجع السابق ٢/٢٩٨.

وقال العلامة صديق حسن (ت ١٣٠٧ هـ): (ونعتقد أن محمداً المصطفى وأحمد المجتبي وخير الخلائق وأفضلهم، وأكرمهم على الله عز وجل، وأعلى درجة، وأقربهم إلى الله وسيلة)^(١).

وقال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله (ت ١٣٧٧ هـ) في منظومته، وهو يتكلم عن النبي ﷺ:

فهو ختام الرسل باتفاق وأفضل الخلق على الإطلاق^(٢)
ومما قاله في شرح هذا البيت: (التفضيل بما أكرمه الله عز وجل، ورفع به درجته، ونوّه في الوحي بشرفه من الفضائل الشرعية والأخروية، وغير ذلك مما شهد الله تعالى به ورسوله ﷺ.. هو الذي يجب اعتقاده، والإيمان به والتصديق، والانقياد له والتسليم)^(٣).

وقال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله (ت ١٣٩٣ هـ): (ثبت أن محمداً ﷺ أفضل الرسل لما تظاهر من آيات تفضيله، وتفضيل الدين الذي جاء به، وتفضيل الكتاب الذي أنزل عليه)^(٤).

ولأبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري رحمه الله (ت ١٤١٣ هـ) كتاب بعنوان (دلالة القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين).

ومما قاله في مقدمة هذا الكتاب: (إذا نظرنا إلى ما في القرآن من دلائل خاصة تقتضي علو قدره عليه الصلاة والسلام انتهينا إلى أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات يقيناً لا يدخله احتمال)^(٥).

وقال محمد عطية الأبراشي رحمه الله صاحب كتاب (عظمة الرسول ﷺ): (لرسول ﷺ منزلة

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص ٩٥.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ٢/ ٤٢٤.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٤٢٦.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ٣/ ٧.

(٥) دلالة القرآن المبين ص ٦ باختصار.

كبيرة، وقلر عظيم عند الله سبحانه وتعالى، فهو أكرم البشر على الله، وأفضل الناس منزلة، وأعلاهم درجة عند الله^(١).

وللشيخ خليل ملا خاطر كتاب بعنوان: (عظيم قدره ﷺ ورفعته مكانته عند ربه عز وجل).

(١) عظمة الرسول ﷺ ص ٢٦٣.

المبحث الرابع من علامات تفضيله ﷺ

وأعني بهذه العلامات الفضائل التي كرم الله تعالى بها نبينا محمداً ﷺ دون غيره في الدنيا والآخرة فاستحق بها التفضيل على غيره من المخلوقات.

وهي كثيرة جداً^(١)، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وقد تضمنت المباحث السابقة طرفاً من هذه الفضائل، وسأعرض في هذا المبحث جملة من فضائله ﷺ الشريفة التي اختص بها - بما يناسب المقام - والتي هي بمثابة الشواهد والعلامات على تفضيله ﷺ على غيره.

فمن علامات تفضيله ﷺ على غيره ما يأتي:

١- كون النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وجاء في صحيح مسلم: (فضلت على الأنبياء بست: .. وختم بي النبيون)^(٢).

ولا ريب أن هذا يدل على علو شأن النبي محمد ﷺ، ورفعة مقامه على سائر إخوانه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، حيث ختمت به النبوة والرسالة فليس بعده ﷺ رسول ولا نبي.

(١) قال القاضي عياض: (لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خص بأدنى لمحة من الفهم: بتعظيم الله قدر نبينا ﷺ وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضب لزمام، وتنويه من عظيم قدره بما تكلّ عنه الألسنة والأقلام) الشفا ١/ ١١.

وقد ألقت كتب كثيرة في خصائص الرسول ﷺ العظيمة ومزاياه الكريمة.

(٢) تقدم تخريجه.

٢- عموم رسالته ﷺ إلى الإنس والجن جميعاً في كل زمان أو مكان.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية.

وقال ﷺ في حديث التفضيل السابق: (وأرسلت إلى الخلق كافة)^(١) والأدلة على هذه المسألة كثيرة معلومة.

وهذه مزية عظيمة للمصطفى ﷺ، حيث كان من قبله من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يبعثون إلى أقوامهم خاصة.

٣- كثرة معجزات النبي ﷺ التي أكرمها الله تعالى بها، ومنها ما هو حسي، ومنها ما هو معنوي، وقد ذكر بعض العلماء أنها تزيد على الألف^(٢)، وهذا ما لم يحصل لمن قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

كما أن معجزاته ﷺ تتميز بالظهور، وأعظمها بلا ريب القرآن الكريم.

قال القاضي عياض رحمه الله موضحاً ذلك: (ومعجزات نبينا ﷺ أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين:

أحدهما: كثرتها، وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها.

الثاني: وضوح معجزاته ﷺ، فإن معجزات الرسل كانت بقدر هم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه) ثم ذكر الأمثلة على معجزات الرسل السابقين، وأعقبها بذكر إنزال الله تعالى للقرآن الكريم ذاكراً وجوه إعجازه، ثم قال: (ثم بقيت هذه المعجزة

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٠، شرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ١، وقد ألفت كتب كثيرة عن معجزات الرسول ﷺ ودلائل نبوته.

الجامعة لهذه الوجوه ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي إلى أن قال: (وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها، ومعجزة نبينا محمد ﷺ لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل).

ثم ساق الحديث المتفق عليه المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة^(١)).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله مبيناً معنى هذا الحديث: (والمعنى أن كل نبي أوتي من خوارق المعجزات ما يقتضي إيمان من رأى ذلك من أولي البصائر والنهي، لا من أهل العناد والشقاء، وإنما كان الذي أوتيته، أي جلّه وأعظمه وأبهره القرآن الذي أوحاه الله إليه، فإنه لا يبيد ولا يذهب كما ذهبت معجزات الأنبياء وانقضت بانقضاء أيامهم، فلا تشاهد، بل يخبر عنها بالتواتر أو الأحاد، بخلاف القرآن العظيم الذي أوحاه الله إليه، فإنه معجزة متواترة عنه، مستمرة دائمة البقاء بعده، مسموعة لكل من ألقى السمع وهو شهيد^(٢)).

فالقرآن العظيم أعظم المعجزات التي اختص بها نبينا ﷺ، ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله أو بسورة منه، الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ هدى للناس وموعظة ورحمة وشفاء، الذي لا تنقضي عجائبه، المحفوظ بحفظ الله تعالى إلى يوم الدين.

٤- ما أكرم الله عز وجل به نبينا محمداً ﷺ ليلة الإسراء والمعراج^(٣) من إمامته بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً، وعلوه فوق الجميع مقاماً، حتى تجاوز السبع الطباق إلى سدره

(١) انظر: الشفا ١/ ٣٦٩ - ٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٩٧/ ٦ كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، ومسلم في صحيحه ١٣٤/ ١ كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس (٣٣٩).

(٣) شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه ص ٦٠٦، ٦٠٧.

(٤) الأدلة على الإسراء والمعراج من القرآن والسنة معلومة مشهورة. انظر مثلاً إن شئت: الإسراء والمعراج للدكتور محمد أبو شهبه، الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة للشيخ عطية محمد سالم.

المنتهى، إلى حيث شاء الله عز وجل، وصار بمستوى يسمع فيه صريف الأقلام، وعلا على مقامات الملائكة عليهم السلام، فقد ظهرت فضيلته عليه الصلاة والسلام في تلك الليلة ظهوراً واضحاً^(١).

هـ- نداء الله تعالى للنبي محمد ﷺ بأفضل أوصافه.

فناداه الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] ومواضع أخرى، و﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] ومواضع أخرى.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: (وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أن كلاً منهم^(٢) نودي باسمه، فقال تعالى: ﴿يَتَكَادُمُ اسْكُنْ..﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَى عَلَيْكَ﴾ [المائدة: ١١٠] ﴿يَمُوسَى إِنْتَ أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]. ﴿يَنْحُوحُ أَهِيْطُ يَسْلَمِيْ﴾ [هود: ٤٨]. ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]... ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعى أحد عبده بأفضل ما وجد فيهم من الأوصاف العلية والأخلاق السنية، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام لا يشعر بوصف من الأوصاف، ولا بخلق من الأخلاق، أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعزّ عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم^(٣)).

ولما ذكر الله تعالى اسمه للتعريف قرنه بذكر الرسالة، فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ونحو ذلك^(٤).

كما أن الله تعالى نهى أن يُنادى نبيه محمدًا ﷺ باسمه العلم توقيراً لنبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ يَتَنَكَّبُ كَدُّكُمْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٩٦/١١، معارج القبول للحكمي ٤٢٤/٢.

(٢) يعني الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٣) بداية السؤل ص ٣٧، ٣٨.

(٤) انظر: الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ٣٥٦/٢، ٣٥٧، لوامع الأنوار البهية ٢/٢٩٦، ٢٩٧.

قال ابن الجوزي رحمه الله: (أخبر الله تعالى أن الأمم كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم، كقولهم: ﴿يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَنِيَّةٍ﴾ [هود: ٥٣]. ﴿يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦٢]. ﴿يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢] ونهى أمته أن يخاطبوه باسمه..^(١)

فلا ينادى النبي محمد ﷺ إذن بقول: يا محمد، وإنما يقال: يا نبي الله، يا رسول الله تشریفاً له وتوقيراً.

٦- صلاة الله تعالى وملائكته الكرام على النبي محمد ﷺ، ثم أمر الله عباده بالصلاة على نبيه ﷺ، وجعلها قرابة يُتقرب بها إليه سبحانه، ولا ريب، أن هذا تشریف لم ينله رسول ولا ملك.^(٢)

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال الحافظ السخاوي رحمه الله: (الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل) ثم ذكر جملة من أصناف الملائكة، ثم قال: (ومعلوم أن الجميع يصلون على سيدنا رسول الله ﷺ بنص القرآن، حيث كانوا، وأين كانوا، وهذا مما خصه الله به دون سائر الأنبياء والمرسلين)^(٣).

٧- ثناء الله تعالى عليه ﷺ بعظمة خلقه، كما تقدم في المبحث الأول.

٨- ما أكرمه الله تعالى به في الآخرة وخصه به من الفضائل ورفعة الدرجة - مما تقدم عند إيراد النصوص الشرعية على تفضيله - مثل كونه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع، وله المقام المحمود، وله الدرجة العالية في الجنة،

(١) الوفا ١/ ٣٥٧، وانظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(٢) دلالة القرآن المبين ص ٨٤، ٨٥.

(٣) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص ٣١، ٣٢.

وغير ذلك من الفضائل الخاصة بالعديدة للنبي محمد ﷺ في الآخرة^(١).

٩- كونه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة.

جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة)^(٢).

وتقدم قريباً حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي في آخره (فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة).

بل جاء في الصحيحين أن أمة الرسول ﷺ شطر أهل الجنة^(٣).

ولا غرو في كثرة أتباع النبي محمد ﷺ حيث إنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ودعوته عامة للثقلين في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة.

وتلك مزية عظيمة وفضيلة ظاهرة لنبينا محمد ﷺ.

ذلك أن الله تعالى يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها، فما من عمل ولا حالة ولا مقالة، ولا شيء مما يتقرب به إلى الله عز وجل مما دل عليه الرسول ﷺ ودعا إليه إلا وله أجر من عمل به إلى يوم القيامة^(٤)، فإذا كان ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة، وغيره من الأنبياء إنما نفع جزءاً من أجزاء الشطر كانت منزلته ﷺ في القرب على قدر منزلته في النفع^(٥).

(١) انظر: للمزيد كتاب الشفا للقاضي عياض ٢٠٦/١ فما بعدها، عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته لخليل ملا خاطر ص ٨٥ فما بعدها، خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء للصادق بن محمد إبراهيم ص ٥٩ فما بعدها.

(٢) صحيح مسلم ١/١٨٨ كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ (أنا أول الناس يشفع يوم القيامة) (٣٣١).

(٣) انظر: صحيح البخاري ٧/١٩٥ كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، وصحيح مسلم ١/٢٠٠ كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة.

(٤) جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...) ٤/٢٠٦ كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٢٦٧٤).

(٥) من كتاب بداية السؤل ص ٤٢ - ٤٥ باختصار.

١٠- اختصاص أمة الرسول ﷺ بمن قبلها بخصائص عظيمة وفضائل شريفة هي في أصلها إكرام من الله تبارك وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام. فقد جعلها الله تعالى خير الأمم، كما تقدم.

وأيضاً فإن الله تعالى قد خفف التكليف عن هذه الأمة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٨٧] وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يسروا ولا تعسروا...) ^(١).

وهكذا فالشريعة الإسلامية شريعة سمحة، وذات أحكام مرنة تتلاءم مع الفطرة البشرية في كل زمان، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى على هذه الأمة المحمدية.

كما أن الله تعالى قد خص هذه الأمة - تكرمة لنبيه ﷺ - في الآخرة بخصائص عظيمة. منها أن هذه الأمة هي أكثر أهل الجنة - كما تقدم -.

ومنها أن هذه الأمة مع كونها آخر الأمم في الوجود فهي أول الأمم في دخول الجنة، وفي الحساب.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة...) ^(٢).

(١) صحيح مسلم ١٣٥٩/٣ كتاب الجهاد، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

(٢) صحيح البخاري ٢١١/١ كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، وصحيح مسلم ٥٨٥/٢ كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٨٥٥).

وفي رواية لمسلم (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة...) (١).
وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي حذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:
(نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم) (٢) قبل الخلائق (٣).
كما أن الله تعالى يعطي أمة النبي محمد ﷺ من الأجر أكثر مما يعطي غيرها من الأمم
السابقة، مع أنها أقل عملاً، وأقصر زماناً، وذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء.
ومما يدل على ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله
ﷺ قال: (إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما
مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على
قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من
نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة
العصر على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على
قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين
قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل
عطاءً، قال الله: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً، قالوا: لا، قال: فإنه فضلي أعطيه من شئت) (٤).
إلى غير ذلك من علامات تفضيله ﷺ على غيره من المخلوقات مما أكرمه الله تعالى به من
الفضائل الخاصة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(١) صحيح مسلم ٥٨٥/٢، ٥٨٦.

(٢) وفي رواية: (المقضي بينهم).

(٣) صحيح مسلم ٥٨٦/٢، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.

(٤) صحيح البخاري ١٤٥/٤، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

الخاتمة

بعد أن تقرر لدينا بالأدلة الشرعية ثم أقوال علماء الأمة أن النبي محمدًا ﷺ أفضل الخلق أجمعين، وعرفنا جملة من فضائله ﷺ الخاصة في الدنيا والآخرة التي تميز بها، واستحق التفضيل على غيره.

بعد هذا أود أن أنبه إلى أن اعتقاد أفضلية النبي محمد ﷺ على الخلق لا تعني المغالاة في مدحه بحيث يرفع فوق منزلته، كما يفعله البعض هداهم الله، فالنبي نفسه ﷺ قد حذرنا من الغلو فيه بقوله: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله)^(١) والإطراء مجاوزة الحد في المدح.

وهذا التنبيه لا يعني التقصير في حقه ﷺ، وعدم إنزاله المنزلة اللائقة بمكانته ﷺ، وإنما المراد التوسط في هذا الأمر، فلا إفراط ولا تفريط، أي أن نلتزم بمضمون النصوص الشرعية الواردة في حقه ﷺ، والدالة على أفضليته عليه الصلاة والسلام دون غلو ولا تقصير.

وأخيراً فإنني أعتذر عن عدم توفية هذا الموضوع حقه، وحسبي أنني بذلت فيه جهدي، وأسأل الله تعالى أن يعفو عني، وأن يغفر لي خطيئتي، كما أسأله تبارك وتعالى أن يعيننا على طاعته واتباع سنة نبيه محمد ﷺ وأن يحشرنا تحت لوائه ﷺ. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد البشر وصفوة الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه وعلى من اتبع سنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤٢/٤ كتاب الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم...) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أخلاق النَّبِيِّ ﷺ وآدابه - الحافظ أبو محمد جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ - دار الكتاب العربي في بيروت ١٤٠٦هـ.
٣. الإسراء والمعراج - الدكتور محمد بن محمد أبو شبة - مكتبة العلم بالقاهرة ١٤١١هـ.
٤. الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة - الشيخ عطية محمد سالم - مكتبة دار التراث بالمدينة النبوية ١٤٠٩هـ.
٥. الأنوار في شمائل النبي المختار - الإمام الحسين بن مسعود البغوي - دار الضياء للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، تحقيق إبراهيم اليعقوبي.
٦. بدائع الفوائد - الإمام ابن القيم - دار الكتاب العربي في بيروت.
٧. بداية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ وشرف وكرم - الإمام عبد العزيز بن عبد السلام السلمي - المكتب الإسلامي في بيروت ودمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.
٨. البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير الدمشقي - مكتبة المعارف في بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.
٩. تفسير ابن سعدي المسمى 'تيسير الكريم الرَّحْمَن في تفسير كلام المنان' - الشيخ عبد الرَّحْمَن بن ناصر السعدي - مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٠. تفسير ابن كثير - الإمام إسماعيل بن كثير - دار الفكر ١٤١٠هـ.
١١. تفسير البغوي المسمى 'معالم التنزيل' - الإمام الحسين بن مسعود البغوي - دار المعرفة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، تحقيق خالد عبد الرَّحْمَن العك ومروان سوار.
١٢. تفسير التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور - الدار التونسية للنشر.
١٣. تفسير الطبري المسمى 'جامع البيان عن تأويل آي القرآن' - الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

١٤. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل - الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - دار الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد العزيز الشهوان.
١٥. جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ - يوسف بن إسماعيل النبهاني - دار الكتب العلمية في بيروت.
١٦. الحبائك في أخبار الملائك - الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، تحقيق محمد السعيد زغلول.
١٧. خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء - الصادق بن محمد بن إبراهيم - مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.
١٨. دلالة القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين - أبو الفضل عبد الله ابن محمد الصديق الغماري - مكتبة القاهرة.
١٩. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي.
٢٠. الرسالة - الإمام محمد بن إدريس الشافعي - تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.
٢١. رسالة في أفضلية محمد عليه الصلاة والسلام - الشيخ أحمد بن سليمان ابن كمال باشا - مخطوطة مصورة في قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم (٦٦٦٨) ضمن مجموع رسائل.
٢٢. الرسل والرسالات - الدكتور عمر سليمان الأشقر - مكتبة الفلاح بالكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.
٢٣. زاد المعاد في هدي خير العباد - الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن القيم - مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.
٢٤. سنن ابن ماجه - الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - دار إحياء التراث العربي

- ١٣٩٥هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٢٥. سنن الترمذي (الجامع الصحيح) - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة - دار إحياء التراث العربي في بيروت، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.
٢٦. سنن الدارمي - أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي - دار إحياء السنة النبوية.
٢٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي - دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان.
٢٨. شرح العقيدة الطحاوية - علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي - مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط.
٢٩. شرح النووي لصحيح مسلم - الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - المطبعة المصرية ومكتبتها.
٣٠. الشريعة - أبو بكر محمد بن الحسين الآجري - دار الوطن للنشر بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الله بن عمر الدميحي.
٣١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى - القاضي أبو الفضل عياض اليمصبي - دار الفكر في بيروت ١٤٠٥هـ.
٣٢. شائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه - الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير - مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط.
٣٣. صحيح البخاري - الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - المكتبة الإسلامية باستنبول ١٩٨١م.
٣٤. صحيح الجامع الصغير - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.
٣٥. صحيح مسلم - الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٦. عظمة الرسول ﷺ - محمد عطية الأبراشي - دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثالثة.
٣٧. عظيم قدره ﷺ ورفعته مكانته عند ربه عز وجل - خليل إبراهيم ملا خاطر - دار القبلة، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ.
٣٨. فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري - الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٩. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، العلامة صديق حسن القنوجي، شركة الشرق الأوسط للطباعة بعمان الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، بتحقيق الدكتور عاصم القريوتي.
٤٠. القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع - الإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي - دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٤١. القول الحق في أن محمداً ﷺ أفضل الخلق - الشيخ نور الدين علي بن سليم الشهير بابن الجزار - هذا المؤلف مطبوع ضمن كتاب (جواهر البحار في فضائل النبي المختار للنبهاني) دار الكتب العلمية في بيروت.
٤٢. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية - الشيخ محمد بن أحمد السفاريني - منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها بدمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
٤٣. متن العقيدة الطحاوية - الإمام أبو جعفر الطحاوي - دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٤٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - منشورات دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
٤٥. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية - تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد.

٤٦. المستدرك على الصحيحين - الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري - الناشر: دار الكتاب العربي في بيروت.
٤٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر في بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.
٤٨. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد - الشيخ حافظ بن أحمد الحكيمي - الناشر: جماعة إحياء التراث.
٤٩. مناقب الشافعي - الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - مكتبة دار التراث بالقاهرة، تحقيق السيد أحمد صقر.
٥٠. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
٥١. منية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ - للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام - دار الكتاب الجديد في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.
٥٢. النبوات - شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية - دار الكتب العلمية في بيروت ١٤٠٢هـ.
٥٣. النهاية في غريب الحديث والأثر - الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير - دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي.
٥٤. الوفا بأحوال المصطفى - الإمام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي - مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ، بتحقيق مصطفى عبد الواحد.